مجلة الرائد

العدد : ١٩٠ الموافق في محرم ١٤١٨ هجري ٦ / ١٩٩٧ ميلادي

| قرأت لك : فرض الكفاية ... وفرض العين ... | بقلم : أسرة التحرير |
|---|---|

**يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى :**

الفروض - كما يقول الفقهاء - قسمان : فرض عين... وفرض كفاية.

يعنون بفرض العين ما يجب على الشخص نفسه ويُسأل عنه وحده ، أما فرض الفكاية فهو واجب على المجتمع وجوب شيوع !

ومن هنا فإن المسلمين يعرفونه بهذه الخاصة ، أنه إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ولا يجري على ألسنة العامة إلا مثل واحد له ، هو صلاة الجنازة !.

وقصة فروض العين وفروض الكفاية لا تحكى بهذا الأسلوب العليل ، وسوء عرضها في مجال التربية والإعداد جعل المسلمين يتصرفون بطيش في أمور تمس حياتهم وبقاءهم ، وقد تعلي رايتهم أو تنكسها...

والواجبات الكفائية تتطلب من الدولة أمرين ينبعان جميعاً من تكليفها ابتداءً باختيار من يحمل أعباء هذه الواجبات ويستطيع أداءها :

الأول : الاطمئنان إلى أن هذه الواجبات وجدت العدد الكافي من الاختصاصيين للنهوض بها ، فإذا كانت الأمة تحتاج إلى مائة صيدلية مثلاً ولم يتوفر إلا خمسون ، اهتمت باستكمال العدد الذي يضمن الصحة العامة ، ولا يجوز أن تتغاضى عن هذا النقصان...

الثاني : أن تتابع بوسائلها الكثيرة حسن الأداء ، ودقة الوفاء حتى تقوم المصلحة العامة على دعائم ثابتة...

إن الأمة العاجزة عن استخراج بركات الله من أرض الله لن تؤدي رسالة الله ، والأمة العاجزة عن تجنيد مواهب المسلمين لإعزاز المسلمين أمة تلقي بأيديها إلى التهلكة...

ترى كم مصنعاً لصنوف الأسلحة يحتاج إليها تحرير المستضعفين ؟ وكم فنّياً يجب إعدادهم لتحقيق هذه الغاية ؟

إن فرض العين قد يتناول أركان العبادات من صلاة وزكاة ، وأركان الأخلاق من صدق وحياء ، وقد يتناول ترك الكبائر من ربا وخنا ، وهذه أمور ترتبط عادة بالضمير الفردي والسلوك الخاص.

أما فرض الكفاية فإنه قد يتصل بحراسة الأمن ، والقضاء بين الناس ، والقيام بشتى المناصب ،

وإجادة الفنون والصناعات التي ينهض بها العمران ، وتحيا عليها الأمة... وغير ذلك من الشؤون المهمة...

فهل فرض الكفاية - وذاك خطره - يكفي في وصفه أن يقال في حقه : إذا قام به البعض سقط عن الباقين ؟

إن المجتمع الإنساني كيان متشابك المصالح ، والناس ما يستغني بعضهم عن البعض الآخر ، والأجهزة الإدارية والثقافية والصحية والاقتصادية والعسكرية في بنيان الأمة تشبه الأجهزة العصبية والهضمية والتنفسية والدورية في الجسد البشري ، ومن هنا فإن فروض العين والكفاية تتداخل في الحياة العامة تداخلاً تاماً ، ويتوزع الاهتمام الديني عليها كلها فلا يدع شيئاً منها...

إن فرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب ! أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين ، وعلى من كُلف به أن يستفرغ الوسع في إتمامه.

ولنزد الأمر وضوحاً... الصلاة فرض عين لأن كل إنسان يستطيع الصلاة فما يستثنى أحد من وجوبها ، أما القضاء والتدريس والهندسة فهي فروض كفاية لأنه ليس كل إنسان يقدر أن يكون قاضياً ، أو مدرساً أو مهندساً...

فإذا ترشح امرؤ بمؤهلاته العلمية للقضاء ، وعينته الدولة في المنصب المعد له ، فإن قيامه بأعباء منصبه هذا أصبح فرض عين كالصلاة والصيام ، وما يجوز له أن يتراخى فيه أو يفرط ، وكل ذرة من استهانة أو خيانة فهي عصيان لله ، واعتداء على الدين ، ولا يقبل أبداً الاعتذار بأن ذلك وقع في فرض كفاية... إن الجهد البشري يجب أن يوزع بالقسطاس المستقيم بين الصلاة المفروضة عليه والقضاء المطلوب منه ، حتى يشيع العدل في المجتمع وتبلغ الحقوق أصحابها...

وربما استغرقت دراسة القضايا عشرة أضعاف الوقت الذي تستغرقه إقامة الصلاة ! ليكن ؛ فهذه عبادة وتلك عبادة ، وفروض الكفاية غالباً تأخذ من الوقت أكثر مما تأخذ فروض العين ، ولعلها تستغرق أعمار الناس ، ليكن ، فذلك هو الطريق لإرضاء الله ، وحماية الأمة ، والحفاظ على الدين ، وإنشاء دنيا تصونه وتنميه...!!

وما يقال في القضاء ، يقال في التدريس ، والتطبيب ، وفي كل مهنة تحتاج الأمة إليها ويرتبط قيامها بها... والجماعات البشرية في القارات الخمس تدرك هذه الحقيقة ، وتنشئ ألوفاً مؤلفة من الوظائف ، وتعين ألوفاً مؤلفة من الأشخاص ، وتقر نفقات ضخمة في موازناتها العامة ، لكي تضمن هذه

المصالح...

والمطلوب من كل مكلف أن يؤدي العمل على خير وجه ، وأن يوفي بالعقد الذي التزم به مع الدولة ، وهي لن تضنّ عليه بما يطمئنه...

وأعتقد أن بعض ذلك ما يعنيه قوله تعالى : { **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** }[المؤمنون:٨] ، فإن المناصب كلها أمانات مسؤولة ، والقيام عليها عقد مرعي الذمام...

لكن المسلمين للأسف الشديد أكثر الأمم إضاعة لهذه الأمانات والعهود ، والأعمال الرسمية في بلادهم مهددة الحرمة ، والوظيفة مصدر للأخذ أكثر مما هي وسيلة إلى العطاء...!! وجهالة المسلمين فاحشة بفروض الكفاية وطبيعتها وآثارها...

ويرجع ذلك - عند بعض المتدينين - إلى أنهم يفرقون بين صور العبادات المأثورة ، وأداء الأعمال المدنية المختلفة ، الأولى عندهم دين ، والأخرى ليست عبادة إلا على ضرب من التجوّز.

رأيت بعضهم على مكتبه جالساً بادي السآمة ، يجيئه الناس لحاجاتهم فيرجئ ما يشاء ، ويهمل ما يشاء ، حتى اقترب وقت الظهر شرع يستعد له قبل الأوان... قلت له :

إن ما تقوم عنه ليس بأهون مما تقوم له... ونشاطك في إنجاز مصالح الناس في أخصر وقت ، وعلى أحسن وجه دين ، وهو واجب كالصلاة والصيام ! قال : إننا نستعد للصلاة المكتوبة ، وسنؤدي عملنا بعد أداء حق الله ! قلت : جميل أن تحرص على الصلاة في وقتها ، ولا عليك أن تصليها أول الوقت أو وسطه ! وخير لك أن تعجل بإنجاز عمل هذا القادم من بلده ، القلق على مصلحته ، خاصة وأن الصلاة تربي الإنسان على الشعور بالواجب ، ولا تستغرق من الزمن أكثر من بضع دقائق معدودة...

ونحن لا نهوّن من شأن الصلاة المكتوبة وأدائها على وقتها ، ويمكن وضع نظام لأدائها جماعة أول الوقت ، أو بعد انتهاء المحاضرة في المدرسة ، والنوبة في المصنع ، والجراحات والكشوف في المستشفى ، ويحدد لذلك زمن معتدل لا يستغله أهل البطالة...

أما عدّ الأعمال العامة شيئاً تافهاً ، أو شيئاً يقبل فيه العبث والتسويف ، فهذا تضييع لفرض يحرم تضييعه !!

**الفريضة... والنافلة...**

ومن قبيل الاستهانة بالفروض الكفائية أن رجلاً رغب أن يحج نافلة - أظن ذلك للمرة الثالثة - فقلت له :

كم تتكلف هذه الحجة ؟ قرابة ألف جنيه ؟

قال :

نعم وأكثر !

قلت له :

أدلك على عمل أفضل ، إن فلاناً تخرج من كلية الصيدلة ، وهو فقير ، والمسلمون فقراء إلى صيدليات إسلامية ، فضع في يد الشاب المتخرج هذا المبلغ يبدأ به حياة تنفعه وتنفع أمته ، ولك عند الله ثواب أكبر من ثواب حجتك هذه !!

فنظر الرجل إليّ دهشاً وصاح :

أهذا كلام يقال ؟

قلت له :

إنك إذا أطعتني أقمت فريضة وسددت ثغرة ، وشاركت في جهاد جليل الثمرة... بدل هذه النافلة التي تبغي.

قال وهو لا يزال في دهشته :

أدعُ الحج ! وأعين على فتح صيدلية ، ما هذا ؟!

إن جمهوراً غفيراً من المسلمين لا يدري أبعاد المأساة التي تعيش فيها أمته ، ولا مدى التخلف الرهيب الذي يهدد يومها وغدها ، ومن ثَمَّ فهو يخبط في دينه خبط عشواء !.

وفي مكان آخر من كتبي ذكرت قول الفقهاء : إن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، والفريضة المطلوب أداؤها يستوي أن تكون فريضة عينية أو كفائية...!

وقلت :

إذا كان التنفل يعجز عن إحسان واجب فلا مكان له ، وضربت مثلاً لذلك :

إذا كان صوم التطوع يعجز المدرس عن تصحيح ورقة إجابة بدقة فلا ينبغي له أن يصوم ، وكذلك إذا كان شيء من ذلك يعجز الطبيب عن إجادة فحص المريض ، أو تصوير الموضع المصاب ، أو كتابة الدواء اللازم...!!